

* الخطاب التعبوي إبان الحراك المصري

مقدمة: يعتبر العديد من المتابعين بأن "الحراك" العربي الجماهيري شكل منعطف استثنائي في تاريخ شعوب المنطقة العربية/الإسلامية؛ خاصة أنه عبر عن رفض عميق لكل أشكال الفساد المتمثلة في الاستبداد السياسي واحتكار سلطة القرار والاستئثار بالثروة والمقدّرات الاقتصادية للأمة والإستقواء بالأجنبي.

لقد كانت انتفاضات شعوب الوطن العربي إعلانا صريحا وواضحا عن فشل سياسات الدولة القطرية في تحقيق التنمية الشاملة وإرساء دعائم نظام ديمقراطي يعترف بكرامة المواطن، وانتفاضا ضد أساليب الحكم المتسلطة والإقصائية المتوارية وراء حجج/دعوى مقاومة خطر الأصولية الإسلامية وتأمين الأمن والاستقرار، الذي يفسر قيام أنظمة الحكم العربية على سياسة إضعاف المؤسسات الوسيطة (أحزاب نقابات مجمع مدني) من خلال التحكم في النخب ونهج أساليب الإدماج والإضعاف والاحتواء مما أدى إلى تعميق حالة الإحتقان السياسي والإجتماعي.

استطاع الحراك الانتفاضي العربي، الذي شكل الشباب عموده الفقري وعمقه الشعبي، قلب كل التمثلات التي ارتبطت به باعتباره عنصرا لا مبالى أو مجرد مراقب سلبي للحياة السياسية، ليتحول إلى صانع لحراك شعبي غير مسبوق توسل بالطفرة التكنولوجية كعنصر مهم وهو ما ذهب إليه الدكتور مصطفى محسن حيث "غدّت هذه الوسائل التواصلية الجديدة أحد أهم المصادر غير المؤسسية الموجهة لثقافة الشباب متقدمة وجاذبة ومغرية أكثر من المدرسة والأسرة ولو ضمن مواضع معينة"¹.

لقد قام الدكتور مصطفى محسن بتقديم توصيف عميق لبواعث الحراك حيث أرجعه الى عوامل "الفساد والمحاباة واستغلال السلطة والقيود التي فرضها على حقوق الإنسان حكام فاسدون توارثوا السلطة قد أوجدت أرضا خصبة للحركات المطالبة بالديمقراطية العاملة عن طريق الفيسبوك والتويتر وغيرها من وسائل الإعلام الاجتماعية"².

ويظل أبرز بواعث الحراك هو النموذج الاستبدادي الذي وصل إلى نهايته بسبب نتائجه الكارثية في إجابته على أسئلة التنمية والديمقراطية وهدر الكرامة الآدمية والتفريط في الحقوق التاريخية للأمة، نموذج صنع أنظمة أضحت عبئا على الشعوب والغرب الذي ظل يوظفها في تأمين مصالحه وهيمته على مقدرات الشعوب بالمنطقة.

ويقدم نصر عارف بدوره تفسيراً عميقاً لحالة التردّي العربي والتي أشعلت فتيل الحراك الديمقراطي حيث "يمكن الوقوف عند ثلاثة مستويات من حالة التردّي التي عرفتتها النظم العربية فقدان الشرعية غياب الفعالية السياسية وعدم القدرة على مكافحة الفساد"³.

* طلبة باحثين، تخصص القانون الدولي العام والعلوم السياسية / جامعة محمد الخامس، كلية الحقوق ..

¹ ويرى حسن مكي في المقابل أن دوره غير حاسم، أنظر: حوارات ما بعد الثورة، حوارات فكرية متخصصة... وأخرى قصيرة، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، سنة 2012، ص: 154.

² مصطفى محسن، بيان في الثورة هوامش سوسيولوجي على متن الربيع العربي، (سنة 2012)، ص: 193.

³ ناصر عارف: حوارات ما بعد الثورة حوارات فكرية متخصصة... وأخرى قصيرة، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، سنة 2012، ص: 54.

وإذا كان بمقدورنا الآن أن ننظر الى هذه الثورات كنتاج لتفاعل بين العامل السياسي والاجتماعي إلى درجة يصعب معها فصلهما فإنه ينبغي الإشارة إلى تباين إشكال الثورات العربية بالنظر الى طبيعة الأنظمة السياسية التي تحكم كل بلد على حدة حيث كان الفعل الإحتجاجي عنيفا في الأنظمة الجمهورية بينما تميز الفعل الإحتجاجي بالنفس الإصلاحي في الأنظمة الملكية التي أظهرت مرونة كبيرة في التعاطي مع مطالب الحراك مستفيدة من مصادر الشرعية التي تتمتع بها خصوصا التاريخية منها.

لقد ذهب المفكر نصر عارف في تشخيص طبيعة الحراك الى القول إذا كان النظام فاقدا للشرعية فيكون الحل هو تغيير النظام أما إذا كان النظام يمتلك شرعية قوية كالنظام المغربي الذي له شرعية دينية وحضارية ضاربة في التاريخ لكنه يعاني من ضعف الفعالية ومن الفساد فهذا سيواجه بمطالب لإصلاح سلوك النظام⁴.

ولقد اعتمد الحراك العربي مجموعة من الأدوات لعل أبرزها خطاب التعبئة وحشد الجماهير وعموم الشعب في الانخراط في عملية استعادة الفضاء العام المصادر من طرف القوى المتحركة في عملية صناعة وإنتاج القرار السياسي والاقتصادي وسعي قوى الحراك من أجل تملك المساهمة في تدبير المقدرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي هي مقدرات تمثل رصيذاً مادياً ورمزياً لا بد من امتلاكه من طرف أمة تتوق الى التحرر والإنعتاق من أسر القوى الداخلية الكابحة لعملية النهوض ومن القوى الخارجية التي تغذي الضعف والهوان والانشقاق والتجزئة باعتبارها آليات "دولة الاستعمار المحلي"⁵.

وعلى الرغم من أن مختلف تجارب الحراك العربي قد عبرت في دلالتها العميقة على وحدة الإشكالات والمشاكل العربية، رغم اختلاف سياقات الأجوبة التي قدمها كل شعب عربي حسب ظروفه الاجتماعية والسياسية، فإن تجربة الحراك العربي بمصر تبقى متميزة ومثيرة للانتباه لما لها من تأثير في نجاح أو فشل باقي التجارب الأخرى.

الأمر الذي يستدعي ضرورة مساءلة هذه التجربة المتميزة خصوصا من خلال تتبع كيفية تفعيل الخطاب التعبوي في عملية استنهاض وتعبئة مختلف شرائح المجتمع للانخراط في الفعل الحراكي والكفاحي الذي عرفته مصر منذ أواخر سنة 2010.

وهو ما ستعمل هذه الورقة على دراسته من خلال السؤال التالي:

ما هي مضامين الشعارات التي رفعت إبان الحراك العربي؟ وما هي المضامين والقيم المضمره وراء الشعارات التي رفعت إبان الحراك العربي عموما والحراك المصري خصوصا؟ وكيف وظفها الفاعلون على اختلافهم في التعبئة والحشد لعموم الشعب؟

وهو السؤال الذي سنحاول الإجابة عنه من خلال مسار بحثي ينطلق من القيام بالتحليل الكمي لشعارات الحراك المصري من خلال عمليتي التوثيق والتصنيف لهذه الشعارات والتميز بين الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما اعترض هذه العملية من إشكالات منهجية لتضمن هذه الشعارات في كثير من الأحيان لمطالب وقيم تنتمي لأكثر من مجال، ثم القيام بعملية فرز لهذه الشعارات الحاكمة للحراك العربي والمعبرة منها عن إرادة الشعب وشعار المطالبة بالرحيل بمختلف تعبيراته وكذلك قراءة القرار باتخاذ يوم الجمعة كمحفة مركزية في التظاهر وما لهذا القرار من دلالات ورمزية في انطلاقات

⁴ ناصر عارف، حوارات ما بعد الثورة حوارات فكرية متخصصة.... وأخرى قصيرة، مرجع سابق، ص: 55.

⁵ رفيق الحبيب

عملية الحراك، وفي الختام سنقوم بقراءة في المضامين والقيم المضمرّة في هذه الشعارات و طرح التركيبة الاجتماعية والجماعة المجتمعية كمادتين لتحليل الرموز والشعارات الحاكمة للربيع العربي.

ثم عملية ومتعدد المداخل، حيث سيعمد الباحثون إلى استثمار الإمكانيات البحثية التي يوفرها التحليل الكمي لشعارات الحراك المصري من خلال عمليتي التوثيق والتصنيف لهذه الشعارات والتمييز بين الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فرز الشعارات الحاكمة للحراك العربي والمعبرة عن إرادة الشعب المصري، لينتقل الباحثون إلى تحليل الخطاب بمهدف الحفر وراء الدلالات الرمزية والمضامين الكامنة وراء الشعارات واستراتيجية الفاعلين ومقاصدهم وراء اعتمادها، من قبيل اتخاذ يوم الجمعة كمحطة مركزية في تعبئة عموم الشعب، مسلميه ومسيحييه، ومنهجيات إستنهاض العنصر الكفاحي للمطالبة بتحقيق شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" وفي الختام سنقوم بقراءة في هذه الشعارات بعد طرح التركيبة الاجتماعية والجماعة المجتمعية كمادتين لتحليل الرموز والشعارات الحاكمة للربيع العربي.

المحور الاول: التحليل الكمي لشعارات الحراك المصري

أولاً: التوثيق والتصنيف: لعل أهم المحطات الفاصلة في الحراك المصري والتي عبرت عن وعي جماعي للشعب المصري الحاضن للحالة الثورية والكفاحية هي لحظة 25 يناير 2011 لذلك سنعمل على دمج عملتين أساسيتين في سياق التحليل الكمي عبر توثيق الشعارات⁶ وتصنيفها حسب المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الشعارات السياسية:

- حسني مبارك يا جبان يا عميل الأمريكان
- زكي بدر يا جبان يا عميل الأمريكان
- نهارك اسود يا مبارك
- أمن الدولة يأمن الدولة فين الأمن وفين الدولة.
- الشعب يريد إسقاط النظام.
- التغيير أو الرحيل.
- ارحل ارحل يا خسيس ارحل بقى خليك خسيس.
- مبارك... عفوا.. لقد نفذ رصيدكم.
- الرئاسة مش بالعافية.. امشي يا أخي.
- ارحل بقى يا عم خلى عندك دم.
- مالكيش دعوة يا أمريكا.
- استقبال استقبل... واحنا نحرس ارض النيل.

⁶<http://revsoc.me/politics/mn-htft-lthwr-fy-30-ywnyw/>

- حرية حرية.
- كرامة حرية عدالة اجتماعية.
- يا مبارك يا مبارك الطيارة في انتظارك.
- ارحل ارحل.
- مش ها نخاف مش هانطاطى احنا كرهنا الصوتالوطني.
- مش ها نخاف من أبوك يا جمال...صوتنا العالى يهد جبال.
- يا حرية فينك فينكامن الدولة بينا وبينك.
- اللي خايف خايف ليه ...هوة فاضل لينا اية.
- على وعلى و على الصوت واللي ها يهتف مش ها يموت.
- باطل ...مجلس الشعب ...باطل...جمال مبارك...باطل....الحزب الواطى " "....باطل...حبيب العادلى...باطل...
- احمد عز ...باطل.
- هو مبارك عايز ايه.....عايز الشعب ييوس رجليه..... لا يا مبارك مش هنبوس بكرة الثورة عليك هتدوسبكرة عليك بالجزمة ندوس.
- مصر يا أم.....ولادك أهم..... دول علشانك شالو اهمدول يفدوكى بروح ودم.
- يا مبارك يا مبارك تل أبيب في إنتظارك
- مش هنمشي هو يمشي انتظارك
- يا مبارك قول الحق أنت حرامي ولا لأيا مبارك يا عميل قتلت إخوتنا في التحرير
- لا شفيق ولا سليمان دول عملاء الأمريكان
- مبيفهمش عربي كلموه بالعربي
- آخر طلعة جوية لازم تكون ع السعودية
- أحلف بسماها وبترايها مبارك هو اللي خربها
- اعتصام اعتصام حتى يرحل النظام
- وبدأ توجيه الاتهامات إلى رؤس النظام الفاسد
- احمد عز و الناس ترد باطل
- امن الدولةباطل
- حبيب العادلى باطل
- الداخلية باطل
- الانتخاباتباطل
- الحزب الوطنى باطل
- جمال مبارك باطل
- حسنى مبارك باطل

- الشعب والجيش ايد واحدة الشعب والجيش ايد واحدة
- اعتصام اعتصام... حتى يسقط النظام"
- يسقط يسقط حسنى مبارك

الشعارات الاقتصادية:

- ياسوزان قولي للبيه كيلو عدس بعشرة جنية.
- اه يا حكومة هز الوسط كيلو اللحمه بقى بالقسط.
- حسنى بيه يا حسنى بيه كيلو اللحمه بـ 100 جنيه.
- يا وزراء طفوا التكييف مش لاقين حق الرغيف.
- ياكلوا لحمه وياكلوا فراخ... واحنا الفول دوحنا وداخ.

الشعارات الاجتماعية:

- واحد اتنين شعب مصر فين
- انزل انزل انزل انزل
- يا امين ساكت ليهدى مش بلدك والا ايه
- ارفع صوتك زى الناسا حنا كرهنا الظلم خلاص
- مصر بلدنا مش هتهون وثورة ثورة حتى النصر
- ثورة حتى النصر صحى الخلق وهز الكون
- ثورة فكل شوارع مصر و يسقط الاستبداد
- يا مبارك يا مبارك السعودية فى انتظارك
- يا أهاليينا يا أهاليينا.. ضمو علينا ضمو علينا"
- يا أبو دهوره ونسر وكاب.. إحنا إخوانك مش إرهاب
- تمشى جنب الحيط.. أصل سكاتك مش هيفيد
- الإصلاح بقى شيء مطلوب... قبل الشعب ما يأكل طوب
- يا وزراء طفوا التكييفمش لاقين حق الرغيف

ثانيا: تحليل شعارات الربيع العربي المصري: تتميز الخطاب التعبوي لثورات الربيع العربي بشعارات لا تحمل أي طابع أوخلفية إيديولوجية، وهو ما يفسر غياب الانتماء السياسي لشباب الحراك الذي شكل الوقود المحرك لهذا الحراك الاجتماعي، أي غياب الفرز الهوياتي في التعبير عن هموم قوى الحراك.

فتلك الأحزاب لا تمثل طموحاتهم إما لأنها تصالحت مع النظام وإما فقدت مشروعيتها داخل المجتمع أو لأنها كانت أحزابا معزولة وممنوعة من العمل السياسي من قبل السلطة الحاكمة. فليس غريبا على جيل أتقن لغة العصر واستطاع أن يرتبط بالعالم ان لا تكون لهم وجهة نظر نقدية لأوضاع اجتماعية وسياسية متردية، يعيش تفاصيلها كل فرد يوميا، فقد أتاحت شبكة الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي سهولة التواصل مع العالم بغير قيود أو حدود، كما سهلت لهم إمكانية

الاطلاع على اوضاع البلاد المتقدمة ومعرفة أسباب التخلف والاضطهاد الاجتماعي والسياسي وأنه ليس قدرا محتوما بل حالة يمكن تجاوزها.

لقد استطاع الشباب أن يبدع في "تحويل شبكات التواصل الاجتماعي الى شبكات ثورية تجمع الشباب الثائر على أوضاعهم في رحابها، جاعلين منها ساحة للنقاش والتخطيط عبر مجموعات متعددة على صعيد الوطن العربي"⁷.

قد يجمع الكثير من المحللين على أن الربيع العربي لا يخضع للمعايير العلمية للثورة، بالنظر إلى معايير ونماذج التحليل المعتمدة في قراءة الثورات التي عرفها في التاريخ البشري كضرورة وجود ايدلوجية سياسية موجهة للثورة وقيادة سياسية تناضل من داخلها كبوصلة لتحول اجتماعي داخل المجتمع على مستوى النخب ومزاحمتها للنخب القديمة، فكل هذه العناصر لم تكن حاضرة في حالة الحراك العربي.

فقد تميزت النخب الشبابية بأن لا ايدولوجيا لها وهذا ما جسدهم مطالبهم العامة المتمثلة في مبادئ ذات بعد إنساني كالحرية والكرامة والمساواة، دون وضع تصورات وبرامج سياسية لما بعد سقوط الانظمة، تاركة القوى السياسية والنخب الاجتماعية مواصلة عملية التحول الاجتماعي المستمر مستعينة بالشعارات والرموز لمواصلة خطابها التعبوي الثوري.

غير أن الاستحقاق المتمثل في الإجابة عن سؤال الهوية وتحديد طبيعة الدولة ومصدر القيم المرجعية العليا الحاكمة في المجتمع ستأتي في مرحلة ثانية مما سيحدث شرحا في الصف الثوري وهو ما سيمهد لوضع ستستغله قوى الثورة المضادة وتوظيفها لبعض القوى الثورية من أجل الانقلاب على الثورة لتتم عملية فرز حقيقي على أساس إيدولوجي لازالت تفاعلاته جارية لحدود الساعة.

أولا: الشعارات الكبرى التي رافقت الربيع العربي: كان لبعض الشعارات دلالات عميقة وأدوار كبيرة في عملية الحشد والتعبئة كما عبرت أخرى عن لحظات فارقة في مسار العلاقة التي كانت سائدة بين الأنظمة والشعوب العربية لهذا كان شعار "الشعب يريد" لازمة لمجموعة من المطالب المختلفة حسب سياق وخصوصية كل حراك عربي، لقد كان شعار "الشعب يريد" لحظة فارقة تجسد انقلابا في علاقة الأنظمة العربية مع شعوبها التي كانت تتلبس الأوطان وتعتبر إرادتها هي الإرادة الحاكمة في قرارات ومصير شعوبها حيث أصبحت الإرادة الشعبية هي المتحكمة في قراراتها ومصيرها، كما جسّد شعار ارحل إعلانا بموت الخوف في نفوس الشعوب وإفلاسا لمنظومة القمع التي تبنتها الأنظمة العربية.

1. الشعب يريد: يعتبر هذا الشعار من أكثر الشعارات رمزية في جميع مناطق الوطن العربي التي شهدت انتفاضات شعبية كما استخدم هذا الشعار لأول مرة في تونس ومن بعدها انتقل الى مصر الكنانة ليعبر عنه بكل ماتعنيه الكلمة من زخم شعبي في ميدان التحرير، كما كتب بالغة العربية واللغة الانجليزية ليأخذ بعدا إقليميا ودوليا. لقد انتشر شعار "الشعب يريد" الى كل المناطق العربية التي تعيش حالة حراك شعبي، وقد استخدمت هذه العبارة كلازمة في التعبير عن سلسلة من المطالب الشعبية كالشعب يريد إسقاط الرئيس، كما هو الحال في مصر.

استعمل شعار "الشعب يريد" في مناطق عدة كعلامة فارقة تقطع بين إرادة الحاكم والقوى الخارجية التي كانت متسلطة واعتبار إرادة الشعب هي المحكّة في تحديد مصير الشعب ولهذا نجد الفلسطينيين قد استعملوا المصطلح ضد الانقسام

⁷ السيد ياسين، ثورة 25 يناير بين التحول الديمقراطي والثورة الشاملة، الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية سنة 2012، ص: 399.

كأهم مطلب في المرحلة الراهنة الشعب الفلسطيني (الشعب يريد إنهاء الانقسام) فيما استخدم الشعب الأردني والمغربي الشعار في مسيراته الاحتجاجية كتعبير عن مطالب الإصلاح (الشعب يريد إصلاح الدستور والنظام).

كما عبر الشعب السوري عن شعار إسقاط النظام بعدما حاول مجموعة من الفتيان في درعا أن يكتبوا الشعار على الجدران إلا أن قوات الأمن كانت لهم بالمرصاد وتم إيقاف هؤلاء الفتيان والزج بهم في السجنما فجر السخط الشعبي الذي أطلق مسلسل الاحتجاجات بدءاً من درعا لتعم بعد ذلك المناطق السورية الأخرى مرافقة بشعار الشعب يريد إسقاط النظام.

أما الشعب الليبي فقد عبر عن سخطه وتهكمه من القذافي لاسيما بعد الخطاب الأول 21 فبراير 2012 (بالشعب يريد مظلة الرئيس)، كذلك (الشعب يريد فهم الخطاب) الذي شابهته الكثير من المصطلحات الغريبة التي استخدمها العقيد القذافي، وبالتالي كان لازمة لأي تعبير سواء كان مطلباً حقيقياً للثورة أو شعاراً تهكمياً على التصرفات الغريبة للعقيد معمر القذافي.

2. شعار "ارحل": في الرابع عشر من يناير أمام وزارة الداخلية التونسية، هتف الشعب التونسي لأول مرة بالرحيل لزين العابدين بن علي مستخدمين الكلمة *dégage* أي ارحل بالفرنسية لابن علي، وقد عبر هذا الشعار عن مدى اتساع رقعة الحراك الثوري ولكن أهم مغزى يحمله هذا الشعار هو قوة رمزيته التي عبر فيها الشعب العربي في تونس عن إرادته بعد زمن طويل متحدياً قمع وتسلط وبطش نظام زين العابدين بن علي وزبائنه وسطوته البوليسية ومعلنا عن القطع مع حاجز الخوف في نفوس الشعوب العربية. كما استمر التونسيون في استعمال هذا الشعار سواء لطرد الحزب الدستوري الديمقراطي الحاكم وأيضاً مطالباً بطرد السفير الفرنسي كردة فعل شعبية أمام تصريحات وزيرة الداخلية ليو ماري الفرنسية آنذاك التي طرحت موضوع دعم النظام التونسي من قبل قوات فرنسية⁸.

الشعب الجزائري استخدم ذات الشعار ليعبر عن مطالبه المحلية. أما في الحالة المغربية فقد تم توظيف شعار "ارحل" للتعبير عن مطالب إصلاحية كتغيير المادة 19 من الدستور المغربي الذي كان يعطي الكثير من الصلاحيات للملك. وقد انتشر شعار "ارحل" إلى المشرق العربي، حيث هتف الشعب في اليمن معبراً عن إرادته الثورية.

لقد تحول شعار "ارحل" إلى نسق من المطالب التي تحمل بعداً ثورياً وإصلاحياً عبر العديد من الأقطار العربية، كما مثل إعلاناً بوفاة الخوف في نفوس الشعوب العربية وعدم جدوى الاستمرار في استخدام الآلة القمعية للأنظمة التي كانت حاکمة.

3. رمزية أيام الجمعة: خروج المتظاهرين أيام الجمعة للتعبئة ضد الأنظمة القائمة كان واحداً من الدلالات الرمزية القوية التي تساعد على الحشد والتعبئة، فقد أدت جمعة 28 يناير في القاهرة إلى جو من المقاومة والتلاحم الشعبي والقدرة على الحشد والتعبئة ولقد أدرك المصريون بأن قوة المخزون العقدي -الإسلامي واحد من أهم العوامل التي وحدت المقاومة ضد الظلم والاستبداد الداخلي.

من الناحية العملية أيام الجمع هي أيام عطل وكذلك توفر تجمعات مهمة من الناس ومنتشرة على مستوى عموم البلد مما يجعل عملية محاصرتها وتشتيتها عند انطلاقها أمراً صعباً للتزاد زخماً عند تجمع المسيرات التي تخرج من مختلف المساجد

⁸ ELODIE AUFRAY De «Dégage !» à Tahrir, les emblèmes du printemps arabe http://www.liberation.fr/monde/2011/04/22/de-gage-a-tahrir-les-emblemes-du-printemps-arabe_730898

والتحاق باقي الجماهير بعد رؤيتهم لانطلاقتها، فهي مناسبة غير عادية للتعبئة بل أصبحت موعداً شعبياً للانتفاض ولكسب أعداد كبيرة لدعم المقاومة في الشارع حيث أن الأنظمة لا تستطيع منع الناس من النزول للصلاة، وقد استغلت القوى الثورية يوم الجمعة لتنوع في القضايا المستعملة للحشد من خلال اتخاذ قضية أو مطلب في كل جمعة يكون أساساً للمطالب ففي يوم الرابع من فبراير اتخذت القوى الثورية مطلب الرحيل (جمعة الرحيل) كذلك الجمعة التالية (جمعة الوداع) وفي الرابع من أبريل (جمعة التطهير).

لقد عمت ظاهرة توظيف أيام الجمع في كل المناطق العربية التي تشهد حراكاً شعبياً. ففي سوريا ارتبط المتظاهرون بهذا الرمز كوسيلة للتربط بين المناطق المنتفضة ضد النظام ولتقوية الاحتجاج في الميادين الثورية باستثناء المغرب الذي كان يتخذ من يوم الأحد يوماً للتظاهرات وذلك لأن قيادة الحراك كانت ذات توجهات يسارية من جهة ولأن يوم العطلة الأسبوعية في المغرب هو يوم الأحد.

بالإضافة إلى شعار الإرادة الشعبية ورمزية يوم الجمعة لعبت الميادين والساحات في كل المناطق العربية أدواراً ثورية فميدان التحرير كان الرئة والقلب النابض للثورة المصرية، فقد استوطنه المتظاهرون وانطلقت منه كل المطالب الشعبية، كما يعتبر المكان الحاضن للرموز والشعارات وللصلاة الجماعية، ساحة جامعة صنعاء في اليمن كان المكان الذي يجتمع فيه الثوار كما أصبح دوار اللؤلؤة في البحرين الساحة الرمزية التي لجأ إليها الشعب البحريني للمطالبة بالإصلاحات وفي تونس ساحة القصبة.

ثانياً: قراءة في شعارات الحراك: تحتزن الشعارات تعبيراً قوياً عن المدركات الجماعية لقوى الحراك، كما تعبر عن الوعي الجمعي لهذه الأخيرة وعن مضمون التقييم والتوصيف للوضع المعيش المتأزم وهو تعبير عن أهداف بل وحتى آمال المجموعة، وتمثل التظاهرات والوقفات الاحتجاجية تعبيراً سيكولوجياً جمعياً نابعا عن هذه القيم والأهداف والآمال التي تجمع هذه المجموعات المتظاهرة سواء كانت مؤيدة أو محتجة.

والمثال في شعارات الحراك المصري الذي يقع في مركز الحراك العربي والذي تعتبر نتائجه محددة ومؤثرة بشكل كبير في باقي الحركات يمكنه تقسيمها إلى ثلاث مجالات كبرى يضم كل مجال منها موقفاً يعبر عن قيمة أو مجموعة قيم سنحاول في هذا المحور البحث عنها، مع الإشارة إلى تداخل بعض الشعارات بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

1. المجال السياسي: عبرت شعارات الحراك المصري التي يمكن تصنيفها في خانة الشعارات السياسية عن وعي وإدراك جماعي يعبر عن:

أ- التعبير عن إرادة الشعب والمطالبة بالحرية والكرامة:

من خلال التعبير عن فشل الدولة الوطنية في تحقيق وعودها في الاستقلال الحقيقي و تأمين ظروف العيش الكريم، شعارات تعبر عن الإيمان بإفلاس النظام وانتهاء صلاحيته، ورفض شرعية مؤسساته من مجلس الشعب وحكومة.... وأدواتهم "الحزب الوطني" ورموزه كالعادي وزير الداخلية وأحمد عز المتنفس على مستوى القطاع الاقتصادي، ورفض الإكراه والتسلط في ممارسة الحكم والمطالبة بالحرية والكرامة، والتعبير عن كسر حاجز الخوف في التعبير عن الوعي أو الإدراك الجمعي بهذه الحالة والإحساس بقوة الشعب في مواجهة النظام، ورفض التوريث والوعي بحقيقة بنية النظام وطلب الزيادة في

هذه التعبئة الجماهيرية ضده من خلال الدعوة إلى كسر حاجز الخوف منه والتعبير عن القطع مع الخضوع وقبول الذل والمهانة من أجل العيش بكرامة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكرامة في شعارات المتظاهرين كانت ترفع في سياق مطلب حقوقي من خلال تعامل أجهزة الدولة مع المواطنين خصوصا في طريقة تعامل أجهزة الداخلية معهم كما كانت تستعمل في سياق مطالب اقتصادية بالدعوة الى توفير ظروف العيش الكريم.

ب. رفض وإدانة التحكم الخارجي في إرادة الشعوب: رفض التعبير عن الخضوع للإرادة الخارجية من خلال إدانة عمالة النظام للخارج وبالتحديد للأمريكان، كما بينت الشعارات المرفوعة رفض تدخل هذه القوى في الحراك متمثلا في أمريكا وبشكل ضمني في التدخل السعودي ومحاولته لإسناد النظام ضد إرادة الشعب في الحراك، وكذا رفض بدائل مبارك التي كانت مطروحة قبل تنحيه، ليس على أساس أنها استمرار للنظام فقط ولكن لأنها امتداد للعمالة للأمريكان والتبعية للخارج.

الرفض الضمني للتطبيع والمسار الذي انخرطت فيه مصر بعد توقيع اتفاق كامب ديفيد، والإيمان بخدمة النظام لإسرائيل من خلال دعوة مبارك إلى الهروب لإسرائيل ومن خلال كتابة شعار ارحل باللغة العبرية لعله يفهمها إنه تعبير عن المطالبة باستعادة مصر الدولة العربية الاسلامية الى حضن المحور الممانع ضد كل أشكال الهيمنة والخضوع للمحور الامريكي الاسرائيلي المناقض لكل الاختيارات الحضارية للامة المجتمعية.

ج. التعبير عن بعض القيم الوطنية واللحمة الاجتماعية: التعبير عن بعض قيم الوطنية الجامعة للوحدة الوطنية ونسف وتسفيه بعض المقولات والشعارات التي يعتمد عليها النظام في شرعيته من أنه هو الضامن للاستقرار وهذه الوحدة، والتعبير عن الرغبة في التضحية من أجل الوطن وكذا الإعلان عن الإيمان العميق بالوطن من خلال القسم بسمائه وترايه والتذكير بوحدة الشعب والجيش كحقيقة تاريخية في مواجهة التحديات والأخطار.

كل الشعارات التي يمكن إدراجها ضمن هذا المجال تدل على عودة الروح والفكرة الوطنية كجامع لكل الوطن جراء القناعة أن لا مستقبل للامة المجتمعية في ظل التجزئة والقطرية ولا مناص من الاشتغال على تحقيق الوحدة العربية الاسلامية، كما تميز هذا الحراك بسلميتهما له من دلالة قوية على حرص واضح على السلم الاجتماعي.

2. الشعارات الاقتصادية: إعلان انفصال النظام عن الواقع المعيش والظروف الاقتصادية للمواطن والانتقاد لتسلط عائلة الرئيس وممارستها للفساد الاقتصادي، وكذا أركان نظامه وتحكمهم في المقدرات الاقتصادية للشعب، والتعبير عن الأزمة الاقتصادية بتعايير شتى، من خلال رفع شعارات تعبر عن غلاء المعيشة التي وصلت فيها أسعار بعض المواد الغذائية لمستويات قياسية.

انتقاد تبذير المقدرات التي تملكها مصر ونسبها للشعب وليس للدولة وانتقاد الفساد المستشري في جميع مفاصل الاقتصاد المصري وانتقاد سوء توزيع الثروة والمفارقات بين الوضع الذي يعيشها المواطن المصري مع أصحاب السلطة والقريبين من النظام.

شعارات إقتصادية للتعبير عن إفلاس النموذج الاقتصادي الدولي العربي المؤسس على دعائم إلحاقية للاقتصاديات الغربية وعدم بناء نماذج إقتصادية تستعين وتستمدج الخبرة الإسلامية المعبرة عن رؤية متفردة للانسان والطبيعة والحياة، والقادرة على تلبية مطالب الروح والمادة على حد سواء.

3. الشعارات الاجتماعية: الإعلان عن القناعة الجماعية أن الحراك هو تعبير عن حالة ثورية والدعوة إلى التعبئة والاستمرار في الحراك الثوري حتى النصر والإعلان عن القطع مع خط العودة في الثورة والاستمرار حتى تحقيق الاهداف واعتبار أن دماء الشهداء لابد من تقديمها كقربان من أجل التحرر من الوضع الذي تعيشه مصر واعتبارهم شهداء بما تحمله هذه الكلمة من دلالات تعبر عن قداسة النضال والكفاح من أجل إسقاط النظام، ودعوة الجيش والشرطة إلى عدم التدخل لصالح النظام وتذكيرهم بروابط الدم والمصير والانتماء لنفس الوطن، وعدم الجدوى من الاستمرار في الوضع القائم. ربيع عربي جعل الحقل الدلالي المفاهيمي محط مراجعة وهو ما سبق إلى الدعوة إليه الأستاذ المرحوم حامد ربيع من خلال قوله "إن مجموعة المفاهيم المتداولة في العالم العربي والتي تطلق دون تحديد واضح جدير بان تخضع لعملية مراجعة قاسية"⁹.

المحور الثاني:

التزكية الاجتماعية والجماعة المجتمعية كمادتين لتحليل الرموز والشعارات الحاكمة للربيع العربي

لابد من التعامل مع اختيارات الجماعات بمنطق بعيد عن كل تحيز معرفي أو مذهبي حتى نتمكن من فرز الإشكالات المجتمعية الحقيقية والأخرى المفتعلة وإلا سنصادر الحقفي الاختلاف بمبرر خدمة أجندة خارجية: "تتميز الأمة المجتمعية باعتبارها أمة متميزة عن غيرها من الأمم بمرجعيتها ومذركاتها الجماعية وقيمها السياسية التي تتجسد مؤسساتيا ومسلكتيات. كمحصلة ماضي مشترك على أرض مشتركة"¹⁰. وهو ما يقود إلى القول أن الانتماء إلى الجماعات الفرعية يفرض بالضرورة إلى الانتماء للأمة المجتمعية كما أن البنية الاجتماعية للأمة العربية الإسلامية، تقوم على البناء الاجتماعي، بوصفه الوحدات الأساسية المنظمة لكيان الأمة، وهذا البناء يقوم بالعديد من الوظائف الأساسية، منها أن الجماعات تشكل وحدات الانتماء الفرعي. وتتجمع الانتماءات الفرعية لتشكيل الانتماء العام للأمة¹¹.

فتمركز الذات حول الانتماء للجماعة الفرعية وتغليب هذا الولاء في مقابل الانتماء للجماعة المجتمعية يقود إلى إنتاج حالة طائفية على المستوى التصوري بما يشكل أرضية خصبة لإعادة إنتاجه على مستوى الممارسة، كما أن البنية الاجتماعية للأمة العربية الإسلامية، تقوم على البناء الاجتماعي، بوصفه الوحدات الأساسية المنظمة لكيان الأمة، وهذا البناء يقوم بالعديد من الوظائف الأساسية، منها أن الجماعات تشكل وحدات الانتماء الفرعي. وتتجمع الانتماءات الفرعية لتشكيل الانتماء العام للأمة¹².

من بين أسباب إنتاج الطائفية في الوطن العربي وهي أزمة الادمج والتي يعزوها طه جابر العلواني "إلى حداثة تجربة الدولة الوطنية الجامعة في معظم دول العالم العربي والإسلامي وفشلها في دمج كل الجماعات المختلفة ضمن هوية وطنية واحدة

⁹ حامد ربيع، مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، سيف الدين الفتاح (تحرير وتعليق)، (جزءان)، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، سنة 2007، ص: 3.

¹⁰ انظر سعيد الحسن، مدخل تمهيد في دراسة نظرية القيم السياسية، ص: 28-30.

¹¹ رفيق حبيب، الأمة والدولة بيان تحرير الأمة، ص: 23.

¹² رفيق حبيب، م.س، ص: 23.

بصورة توافقية بما يجعل الانتماء للوطن في مقدمة الانتماءات والهويات الفرعية الأخرى وليس العكس إذ لا يصح وضع هذه الانتماءات الفرعية في وضع متعارض مع ذلك الانتماء الأشمل والأعمق¹³.

ويمكن عمق الإشكال هنا في أن "القضية الأساسية لها جانب حقوقي ولها جانب يتعلق بإمكانات المجتمع السياسي أن يدير عناصر التعددية فيه بما يؤدي إلى عافية الكيان وقوته"¹⁴، ولكن الحكمة تقتضي تنظيم وتقنين الاختلاف بحيث يتحول إلى ينبوع إثراء للحياة الإنسانية بدلا من أن يتحول إلى سيف مسلط على رقاب البشر¹⁵.

تشكل الثورة حدثا اجتماعيا غالبا ما يكون عنيفا، ويظهر هذا العنف عادة في مرحلة المخاض في أو عملية ولادة نظام جديد من داخل القديم. كذلك المرحلة الانتقالية لا تتم بالسهولة وبالسعة المتوقعة، حيث تأخذ فترة زمنية طويلة إلا أنه خلال هذه الفترة تتولد نوع من العلاقات الاجتماعية تترجم وتعبّر عن نفسها في معالم ثقافة جديدة لتؤكد من جديد على أن الثورة ليست حدثا عاديا وبسيطاً في التاريخ الإنساني، حيث تختصر في اسقاط النظام وإرساء نظام جديد.

في الواقع تشكل الثورة أداة جديدة لفهم وقراءة التاريخ ولتأسيس نظام جديد في الاتصال السياسي والتعبوي المباشر وكذلك في الأشكال الجمالية والفنية. إن الحدث الثوري يسري في كل شرايين الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية انما الرؤية الثورية المتكاملة للحياة والداعمة لاستمرارها في التاريخ¹⁶.

بناء على هذا التعريف تشكل ثورات الربيع العربي حدثا مهماً وعميقاً في الحاضر العربي المعاصر وإن ما يثير الانتباه في هذه الثورات هو وحدة الشعارات التي رفعت والتي تفشت في كل الأرض العربية، الأمر الذي يحتم علينا محاولة الولوج في هذه الظاهرة والدخول إلى الكامن الذي يشكلها ويوجهها، حتى لا تفلت منا مادة غنية وجديدة بالدراسة، ليس فقط من باب رفع الحرج الأكاديمي بل بما تحويه من أمل للخروج بهذه الأمة من دوامة الضياع والتشتت والتبعية، ولمعرفة الأزمة الحقيقية التي تواجه الأمة العربية في عملية تحررها ورفضها للنظام الإقليمي الراهن.

كرس النظام الإقليمي العربي الراهن الكثير من الحقائق التي تقف أمام وحدة المجتمع العربي، فانطلاقا من التاريخ الذي يقدم مادة غنية لفهم ما جرى من تفكيك للأمة العربية لاسيما خلال القرنين الماضيين، حيث تفاوتت في الخضوع للخلافة العثمانية مجموعة من الأمصار العربية فالجزيرة العربية والشام كانتا تابعة للإرادة الفعلية للسلطنة العثمانية بينما منطقة وادي النيل كانت أقل تبعية أما المغرب العربي فنخضع لتبعية شكلية، للسلطنة العثمانية¹⁷.

أما بعد سقوط الدولة العثمانية فقد تقاسمت الدول الغربية هذه التركة، الأمر الذي كرس الحدود بين الأمصار العربية من خلال منطلق الاستعمار الغربي وكرس السياسة القطرية بين مكونات المجتمع العربي فقد تكرست مجموعة من الحقائق بناء على هذه التجزئة حتى في أكثر الأوقات نضالا ضد الاستعمار الأمر الذي أعطانا نظاما إقليميا عربيا عاجزا أمام مجموعة

¹³ طه جابر علواني، م.س، ص: 24.

¹⁴ سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص: 37.

¹⁵ عبد الله فهد النفيسي، الحركة الإسلامية ثغرات في الطريق، مكتبة آفاق، الطبعة 1، 2012، ص: 67.

¹⁶ http://fr.wikipedia.org/wiki/Historiographie_de_la_R%C3%A9volution_fran%C3%A7aise

¹⁷ سعيد الحسن، الخبرة العربية الحديثة في مواجهة الطغيان، دراسة مرقونة على ورق A4، ص: 2.

من التحديات من بينها التجزئة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي، والاستعمار والاستيطان الصهيوني والتبعية بكل أشكالها¹⁸.

إن عجز النظام الرسمي العربي في مواجهة الازمات المذكورة اعلاه، كذلك فشل الدولة القطرية في مواجهة مشاكلها المتعددة جعل الشعوب العربية أو الجماعة العربية كما يسميها "الأستاذ سعيد الحسن" تسعى إلى الاضطلاع بأمانة مستقبلها¹⁹.

إن ثورات الربيع العربي ليست إلا سعيًا ونضالًا لتحقيق المشاركة في الحكم وللعادلة الاجتماعية في توزيع الثروة. إنها ثورة ومواجهة مستمرة مع إرث من الطغيان الخارجي ومن التفكك الاقليمي والاستبداد في الحكم الذي جسده المراحل الثلاثة التي قسمت ظهر الأمة العربية من السلطة العثمانية إلى التبديد الاوربي وبعد ذلك النظام العربي الراهن.

لقد جسدت الشعارات الحاكمة للربيع العربي، صرخة هذه الأمة التي تعاني في كل أقطارها من نفس العلة التي تنخر هذا الجسد الكبير، لذلك لا نستطيع أن نفهم تطلعات شعوبنا العربية دون الاخذ بالاعتبار قيمها الجامعة وثوابتها الحضارية، بمعنى اطلاق القدرة على تشخيص كل المعوقات التي تقف أمام التزكية الاجتماعية، لذلك من الطبيعي أن يواجه الحراك العربي الكثير من الصعوبات التي تعيق هذا المشروع الذي يقوم أساسا على عملية الهدم لاقتلاع ميراثا من التشويه المستهدف لنهضة هذه الأمة إنها مهمة لمواجهة الغزو الفكري الذي يهدف إلى طمس الشخصية الحضارية للأمة العربية ويحاول دائما وبكل اشكال التسميم السياسي والثقافي إلى عزل الامة عن مدركاتها الجماعية "مفهوم البشليخية نحتة الدكتور سعيد خالد الحسن" كمنهج للدراسات التاريخية البلدانية للبشر (ويمكن الإشارة إليه بمصطلح "البشليخية التاريخية" أو "البشليخية" المركب من المفردات الثلاث "بشر"، "بلدانية"، "تاريخ"). ومجال "البشليخية" (أو: البشليخية التاريخية هو دراسة تطوّر الأنساق الاجتماعية للجماعات البشرية، والسنن التي تحكم تطوّر عمران حياتهم المشتركة: من التوحّش؛ إلى بداوة الطور القبلي ونمط عمران حياته الرعوي المتنقل؛ ومروراً بالطور الشعوبي الانتقالي من هذا الأخير القبلي؛ إلى الطور المجتمعي ونمط عمران حياته الحضري. فالبشليخية هي دراسة تاريخية اجتماعية لتطور الحياة المشتركة للجماعات البشرية تنقلاً فاستيطاناً فتوطناً في البلدان؛ وما يسمّى هذا التطور من خصائص مُحدّدة لمعالم الأنساق الاجتماعية لهذه الجماعات، ولهويتها الثقافية، ولسنن حركتها عبر الزمان (من الماضي إلى المستقبل)²⁰ وفصل هذه المدركات عن مرجعيتها الجامعة، التي كانت السبب الاصيل في ظهورها كأمة متميزة بين الامم الأخرى.

¹⁸ سعيد الحسن، م.س، ص: 4.

¹⁹ سعيد الحسن، م.س، ص: 4.

²⁰ سعيد خالد الحسن، حول أولويات التدبير الاستراتيجي العربي، مساهمة في كتاب: التحرر العربي والنظام الدولي. دراسة وتحرير: د. سعيد الحسن، الرباط: منشورات مركز الدراسات والأبحاث بمؤسسة خالد الحسن، ط 1، 2010م، ص: 32.

المحور الثالث: القيم المضمرة والمعلنة في شعارات الحراك المصري.

القيم المعلنة:

الحرية: "الحرية الانسانية بمعنى استقلال البشر تكويننا في الارادة والاختيار هي إحدى أبرز بديهيات الخطاب القراني ذلك ان لامعنى للرسالة إن لم يكن للبشر القدرة على الاختيار والمضي وراء هذا الاختيار، ذلك أن الحرية اساس التكليف والإيمان"²¹.

الكرامة الانسانية: شكل الشعار البارز "حرية كرامة عدالة إجتماعية" المطالب الجامعة لدى قوى الحراك وهو شعار يحاول المزج بين المطالب المادية والمعنوية، فلا يمكن أن يستبدل مطلب الكرامة بتحقيق تنمية إقتصادية هشة.

المطالبة بالشرعية: شعارات الحراك طالبت بإنهاء النمط السياسي الحاكم الذي يتأسس على منطق الغلبة والقهر والتسلط والاستبداد والانتقال الى الحكم الراشد المبني على الرضى والاختيار والشرعية "مفهوم مركزي في النظرية السياسية وأحد أبرز القيم فيها وجوهر هذا المفهوم هو توافق العلاقة بين جماعة الامر وعموم الجماعة السياسية بما يؤدي الى القبول بالفعل السياسي وطاعته"²².

السلم الاجتماعي: من أبرز القيم المميزة للحراك العربي وهي سلميته التي يعبرها عن إرادة الشعوب هي أقوى من سلاح الطغاة والبلغاة، واعتبار أن الأمن الجماعي هو جزء من الأمن السياسي وعدم الانجرار إلى الساحة التي يمتلك خصم الثورة شروط وموازن التفوق معتقلت للقوى المضادة للحراك من قيم كاذبة ورادعة ضد اهانة كرامة القوى الحاضنة والفاعلة في الحراك.

القيم المضمرة:

- وحدة الأمة: شكلت وحدة الحراك العربي أهم القيم المضمرة في شعارات الحراك المصري
- معانقة قضايا الأمة
- الانتقال من قيمة المدخل الفكري الفلسفي إلى المدخل لسياسي الحقوقي:
- الوعي بالفوارق والنقص
- اتساع رقعة الفكر المدني
- أهمية الناظم الإيديولوجي والكتلة التنظيمية
- اللحمة الاجتماعية

استعادة فعالية المجتمع: على أنها ثورة "الهامش على المركز" حيث يمكن القول أنها تتقاطع مع ظاهرة صعود الهامش في الثقافة العالمية بما لذلك من صلة بثقافة ما بعد الحداثة وكثير من الاتجاهات الفكرية التي ظهرت مؤخراً كالتفكيكية والنسوية والدراسات ما بعد الكولونيالية والعبثية... إلخ، بالإضافة إلى العولمة وتأثيرات تقنيات الاتصال الحديثة وغياب النخب وتعزيز ثقافة الهامش ودوره، وغيرها من الظواهر السياسية والاجتماعية التي صعدت فيها الهوامش، مما يجعل من

²¹ علل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط 5، 1993، ص: 248.

²² انظر تعريف الشريعة في: موسوعة السياسة، ج 3، ص: 451. انظر أيضا: بدوي، النظرية السياسية: النظرية العامة للمعرفة السياسية، سنة 2006، ص: 103.

قراءة الثورات العربية في السياق نفسه أمراً ممكناً، بدءاً من دور الإنترنت فيها (هذا الوسيط الثقافي الذي يتصف باللامركزية) ومروراً بثقافتها ذات الطابع الشعبي، واتسامها بالتعددية واللايدلوجيا وانتهاء بتمييزها بكونها ثورة الهامش والمهمشين التي اختفت معها الزعامات الثورية.

إنتاج القيم القائدة: القيم هي الوعاء الذي يحتضن نخضة الأمم، ولقد استطاع الحراك المصري أن يبرز مجموعة من القيم المضمرة واستخدامها كمؤطر للفكر والممارسة في ميادين الحراك، وتكون خريطة القيم من أربع حزم هي: "وخريطة حزم القيم هذه أربع كبرى هي: حزمة قيم الإيمان وهي خمس قيم أساسية هي قيمة اللاهوية وقيمة الربوبية وقيمة العبودية وقيمة الحاكمية وقيمة التوحيد. وحزمة قيم الأخوة وهي ثلاث قيم مركزية هي قيمة الانتماء وقيمة الولاء وقيمة الوفاء للدين والأمة والإقليم. حزمة قيم الآدمية وهي ست أساس قيم الحرية وقيمة العزة وقيمة العفة وقيمة الرحمة وقيمة العدل وقيمة السلام و بها تتحقق الآدمية في الفرد والدولة والأمة والحضارة. وأخيراً حزمة قيم العمران وهي متعددة نذكر منها قيمة العقل وقيمة العمل وقيمة الوقت وقيمة النظام وغيرها"²³.

إنتاج المفاهيم المرشدة: أصالة المفاهيم تمنح الإنسان أصالة الفكر ومن تم أصالة الانتماء، وقد استطاع الحراك العربي أن ينتج مفاهيم تعبر عن كينونته الخاصة لعل أبرزها شعار الشعب يريد... الذي أصبح شعار عابر للحدود ومعانق لرياح الإصلاح والتغيير وهو تجسيد عملي لرفض حالة الكلاله بالتعبير القرآني، تم شعار ارحل وهو مفهوم يعبر عن استعادة تعاقد الأمة مع حكامها والذي كان في اغلب الاحوال يتأسس على شرعية الغلبة والقوة والإكراه، مفهوم الكرامة الآدمية المتمثلة في تأمين ظروف العيش الكريم ومحاولة استعادة دولة المجتمع بذل مجتمع الدولة.

-مقاومة التبعية والطغيان: تجاوز اشكالات الطغاة والغلاة والجباة والغزاة:

خاتمة: تختزن عملية التعبير عن الشعارات وعياً عميقاً بالمدرجات الجماعية لقوى الحراك، كما تعبر عن الوعي الجمعي لهذه الأخيرة وعن مضمون التقييم للوضع المعاش، وعن أهداف بل وحتى آمال الشعوب، وتمثل التظاهرات والوقفات الاحتجاجية تعبير سيكولوجي جمعي نابع عن هذه القيم والأهداف والآمال التي تجمع هذه المجموعات المتظاهرة سواء كانت مؤيدة أو محتجة. ولقد ميز الخطاب التعبوي (لثورات الربيع العربي) من خلال شعاراته التي رفعت، عدم حملها لأي طابع أو صبغة إيديولوجية في بدايته حيث كان الوقود والحرك الأساسي لهذا الحراك الاجتماعي الشباب الذين لا انتماء سياسي لهم متجاوزين الأحزاب التقليدية سواء أكانت إسلامية أم علمانية التوجه. وقد استطاع هؤلاء الشباب أن يبدعوا في تحويل شبكات التواصل الاجتماعي إلى شبكات ثورية تجمع الشباب الثائر على أوضاعهم في رحابها، جاعلين منها ساحة للنقاش والتخطيط عبر مجموعات متعددة على صعيد الوطن العربي، وقد جسدت مطالبهم العامة المتمثلة في مبادئ إنسانية كالحرية والكرامة والمساواة، دون الإجابة عن سؤال الهوية وتحديد طبيعة الدولة ومصدر القيم المرجعية العليا المحكمة في المجتمع الذي سيأتي في مرحلة ثانية مما سيحدث شرخاً في الصف الثوري وهو ما سيمهد لوضع ستستغله قوى الثورة المضادة وتوظيفها لبعض القوى الثورية من أجل الانقلاب على الثورة لتتم عملية فرز حقيقي على أساس إيديولوجي لازالت تفاعلاته جارية لحدود الساعة.

²³ أحمد طلاي: "الثورة المضادة فعل تاريخي غير مخضب"، مجلة الفرقان، العدد 72، سنة 2013، ص: 9.

وقد كان لبعض الشعارات دلالات عميقة وأدوار كبيرة في عملية الحشد والتعبئة كما عبرت أخرى عن لحظات فارقة في مسار العلاقة التي كانت سائدة بين الأنظمة وشعوبها، لهذا كان شعار "الشعب يريد" والذي أصبح لازمة لمجموعة من المطالب المختلفة حسب سياق وخصوصية كل حراك عربي، يجسد انقلابا في هذه العلاقة حيث كانت الأنظمة تتلبس الأوطان وتعتبر إرادتها -إن كانت أصلا تملك إرادتها- هي الإرادة الحاكمة في قرارات ومصير شعوبها، كما جسد شعار ارحل إعلانا بموت الخوف في نفوس الشعوب وإفلاسا لمنظومة القمع التي تبنتها هذه الأنظمة القمعية.

كما كان لخروج المتظاهرين أيام الجمع للتعبئة ضد الأنظمة القائمة دلالات رمزية قوية تساعد على الحشد والتعبئة، فقد أدت جمعة 28 يناير في القاهرة إلى جو من المقاومة والتلاحم الشعبي وقدرة على الحشد والتعبئة كبيرة، ولقد أدرك المصريون بان قوة المخزون الإسلامي واحد من أهم العوامل الذي وحد المقاومة ضد الظلم والاستبداد الداخلي. أمان الناحية العملية فأيام الجمعة هي يوم عطلة بما توفره من تجمعات مهمة من الناس منتشرة على عموم البلد مما يصعب عملية محاصرتها وتشتيتها عند انطلاقها لتزداد زخما عند تجمع المسيرات التي تخرج من مختلف المساجد، وقد استغلت القوى الثورية يوم الجمعة لتنوع في القضايا المستعملة للحشد من خلال اتخاذ قضية أو مطلب في كل جمعة يكون مطلباً راهنا ملحا.

والمأمل في شعارات الحراك المصري الذي يقع في مركز الحراك العربي والذي تعتبر نتائجه محددة ومؤثرة بشكل كبير في باقي الحركات يمكنه تصنيفها إلى ثلاث مجالات كبرى سياسية واقتصادية واجتماعية يضم كل مجال منها موقفا يعبر عن قيمة أو مجموعة قيم رغم أن بعض الشعارات تتداخل في هذه المجالات الثلاث.

وقد حملت الشعارات السياسية رفضا للخضوع للإرادة الخارجية من خلال إدانة عمالة النظام للخارج وبالتحديد للأمريكان، كما بينت الشعارات المرفوعة رفض تدخل هذه القوى في الحراك متمثلا في أمريكا وبشكل ضمني في التدخل السعودي. وكذا رفض بدائل مبارك التي كانت مطروحة قبل تنحيه، ليس على أساس أنها استمرار للنظام فقط ولكن لأنها امتداد للعمالة للأمريكان والتبعية للخارج.

كما حملت التعبير عن بعض قيم الوطنية الجامعة للوحدة الوطنية واللحمة الوطنية ونسف وتسفيه بعض المقولات والشعارات التي يعتمد عليها النظام في شرعيته من انه هو الضامن للاستقرار وهذه الوحدة، والتعبير عن الرغبة في التضحية من أجل الوطن وكذا الإعلان عن الإيمان العميق بالوطن والتذكير بوحدة الشعب والجيش كحقيقة تاريخية في مواجهة التحديات والأخطار.

فيما تضمنت الشعارات الاقتصادية إعلان انفصال النظام عن الواقع المعاش والظروف الاقتصادية للمواطن والانتقاد لتسلط عائلة الرئيس وممارستها للفساد الاقتصادي، وكذا أركان نظامه، والتعبير عن الأزمة الاقتصادية بتعابير شتى.

أما الشعارات الاجتماعية فقد أعلنت عن القناعة الجماعية أن الحراك هو تعبير عن حالة ثورية والدعوة إلى التعبئة والاستمرار في الحراك حتى النصر والإعلان عن القطع مع خط العودة عن الثورة، واعتبار أن دماء الشهداء وقود الثورة ووعيه بضرورة تقديمها كقربان من أجل التحرر من الوضع الذي تعيشه مصر واعتبارهم شهداء بما تحمله هذه الكلمة من دلالات تعبر عن قداسة النضال والكفاح من إسقاط النظام، ودعوة الجيش إلى عدم التدخل لصالح النظام وتذكيره بالإضافة إلى الشرطة بروابط الدم والمصير والانتماء لنفس الوطن، وعدم الجدوى من الاستمرار في الوضع القائم.

لائحة المراجع:

1. د. حامد ربيع: *مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي*، سيف الدين الفتاح (تحرير وتعليق)، (جزءان)، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، سنة 2007.
2. د. عبد الله فهد النفيسي. *الحركة الإسلامية ثغرات قمي الطريق*، مكتبة أفاق، الطبعة الأولى، 2012،
3. د. سعيد الحسن، الخبرة العربية الحديثة في مواجهة الطغيان، دراسة غير منشورة.
4. علال الفاسي: *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها*، ط 5، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1993.
5. انظر تعريف الشرعية في: موسوعة السياسة، ج 3، بدوي، النظرية السياسية: النظرية العامة للمعرفة السياسية، سنة 2006.
6. السيد يسين: ثورة 25 يناير بين التحول الديمقراطي والثورة الشاملة. الطبعة الثانية الدار المصرية اللبنانية، 2012.
7. د. سعيد الحسن، الخبرة العربية الحديثة في مواجهة الطغيان، دراسة غير منشورة.
8. د. نصر عارف: *حوارات مابعد الثورة حوارات فكرية متخصصة.... وأخرى قصيرة*، مرجع سابق.
9. حسن مكّي: *حوارات مابعد الثورة حوارات فكرية متخصصة.... وأخرى قصيرة*. بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، سنة 2012.
10. مصطفى محسن: *بيان في الثورة هوامش سوسيولوجي على متن الربيع العربي*، سنة 2012 .